حرية
عدالة
مواطنة

البديل

إسبوعية - سياسية - مستقلة

العدد (٩٣) ١٦ /٦/ ٢٠١٣ م | www.al-badeel.org | Issue (93) 16/6/2013

الثوار يسيطرون على نقاط عسكرية في ٤ محافظات

الولايات المتحدة تقرر تسليح الجيش الحر

■ عواصم - الوكالات

قررت الولايات المتحدة تسليح المعارضة السورية بعد شهور طويلة من المداولات والتردد، في وقت بدأ الثوار بالتقدم ميدانياً في أكثر من محور إثر سقوط القصير وحققوا تقدماً ادلب وحلب وحماة ودرعا.

وقال مسؤول أمريكي يوم الخميس إن الرئيس باراك أوباما وافق للمرة الاولى على إرسال أسلحة أميركية الي مقاتلي المعارضة السورية. وقالت الخارجية الأمريكية نقلا عن تصريحات لوزير الخارجية جون كيري قوله إن استخدام قوات النظام أسلحة كيماوية وتدخل مقاتلي حزب الله يظهران عدم إلتزامه بالمفاوضات ويهددان "بجعل التسوية السياسية بعيدة المنال».

وقال سيرجي لافروف وزير الخارجية الروسي إن أي محاولة لفرض منطقة حظر طيران باستخدام مقاتلات إف ١٦ وصواريخ باتريوت من الأردن سينتهك القانون الدولي، واعتبرت أن «تساهل» الغرب في تسليح المعارضة من شأنه أن يقوض عقد المؤتمر الدولي، فيما دعت فرنسا إلى إعادة التوازن بين قوات النظام والجيش الحر في مسعى لإنقاذ مؤتمر «جنيف٢». وقال وزير الخارجية الفرنسي لوران فابيوس إن تقدم قوات النظام المدعومة من ايران وحزب الله اللبناني نحو حلب يجب ان يتوقف. مطالباً بـ«إعادة التوازن» بين قوات النظام ومقاتلي المعارضة، وبدون ذلك «لن يكون هناك مؤتمر سلام في جنيف لأن المعارضة لن توافق على الحضور». وطالب بتسليح «جنود المقاومة» السورية لتحقيق هذا الغرض.

وأوقف الجيش الحر تقدم القوات الموالية للنظام في حلب حيث يحتدم قتال بالأسلحة الثقيلة قرب بلدة على الطريق المؤدي إلى ريف حلب الغربي وسط تقارير عن مشاركة حزب الله في القتال، في وقت اندلعت رحى معركة طاحنة في محافظة دير الزور شرق سوريا أسفرت عن مقتل العشرات في صفوف ميليشيا موالية للنظام، فيما سجلت جبهة حمص تراجعاً بعد سيطرة القوة النظامية على مساحات جديدة كان يسيطر عليها الثوار. ووسيطر الثوار في ادلب على حاجز الإسكان ومواقع عديدة في محيط مدينة ادلب التي باتت محاصرة من الجيش الحر، فيما ينتظر السكان تحرير المدينة من قوات النظام التي حولتها إلى ثكنة عسكرية.

وأعلن الرئيس المصري محمد مرسي قطع العلاقات الدبلوماسية بالكامل مع دمشق وطالب حزب الله بسحب مقاتليه من سوريا على الفور. وقال مرسي: «نقف ضد حزب الله في عدوانه على الشعب السوري».

واستمر تمدد شظايا الوضع السوري تضرب لبنان بعد قصف مروحية تابعة للنظام المنطقة السكنية في بلدة عرسال، وهو ما دعا الجيش اللبناني إلى إصدار بيان أكد فيه أنه اتخذ إجراءات للرد الفوري في حال تكرر الخرق

■ رأي البديل- دلالات التغير الأمريكي

لا شك أن قرار أوباما في ١٤ من الشهر الجاري بتسليح المعارضة السورية هو انعطاف مهم في الصراع بين النظام وقوى الثورة، لكن ما قدرة هذه الخطوة على إحداث تغيير سريع باتجاه الحل؟ وما هي الكلفة التي سيترتب على السوريين دفعها ثمن هذه الخطوة؟ وما هي حدود عملية التسليح؟ هذه الأسئلة وغيرها تفرضها طبيعة الخطوة الأمريكية المتأخرة، خاصة أن الانخراط المتعدد للجهات الإقليمية قد حوّل سوريا إلى ساحة صراع مفتوحة.

لقد أتت الانتصارات الأخيرة للنظام في القصير، وتدخل حزب الله الحاسم، لتعزز المخاوف من قدرة النظام على هزيمة المعارضة المسلحة، خاصة أن كتائب الجيش الحر وغيرها من الكتائب التي لا تجتمع على استراتيجية موحدة، ويغيب التنسيق فيما بينها، ولا تتمتع كلها بالقدر نفسه من التسليح، وتحظى الكتائب المتشددة دون غيرها بقدرات تفوق بقية الكتائب الأخرى.

بقيت أمريكا في موقف المنتظر، وهي دفعت روسيا إلى التورط في قضية لا تحمل لها الكثير من المكاسب الفعلية، وذلك أملاً في الإطاحة بالعناد الروسي بأقل التكاليف، ولقد سبق إعلان أوباما تسليح المعارضة تصريح للرئيس الروسي فلاديمير بوتين ينتقد فيه عدم قيام الأسد بإصلاحات كان بإمكانها تجنيب سوريا ما وصلت إليه، ويمكن لنا أن نفهم أن الموقفين الروسي والأمريكي ليسا بعيدين عن بعضهما البعض، فالصفقة الرئيسية بينهما موجودة في شرق آسيا.

لكن هل ستدفع الخطوة الأمريكية المعارضة المسلحة باتجاه سقوط سريع للنظام السوري؟ بالطبع الأمر ليس بهذه السهولة، فالأمريكان كما الروس يدركون بأن النظام السوري لن يسقط عسكرياً، وإنما يمكن دفعه إلى المفاوضات من خلال تغيير استعادة التعادل في ميزان القوى بينه وبين قوى الثورة.

لكن الخطوة الأمريكية تحمل في طياتها أيضاً تحولاً نحو دعم القوى المسلحة، بعد أن ثبت للجميع بأن القوى والتشكيلات السياسية السورية المعارضة تعاني من مشكلات بنيوية عميقة باتت عبئاً على عملية التحول في سوريا، ولهذا كان لا بد للأمريكان من تجاوز هذه التشكيلات، والعمل مباشرة مع القوى المسلحة على الأرض، وهو ما مهدت له زيارة السيناتور الأمريكي جون ماكين إلى الداخل السوري، ومباحثاته مع قادة ميدانيين من الكتائب المعتدلة.

إذن عملية التسليح لن تكون مهمتها ترجيح كفة قوى الثورة، وإنما تعزيز موقفها، وتعزيز مكانة القوى المعتدلة في الثورة، ورفع مكانة اللواء سليم إدريس باعتباره البوابة الرئيسية لعبور الأسلحة، ما يعني "ربما" أن يكون إدريس أو من يمثله هو المفاوض الرئيسي عن قوى الثورة.

«لهون وبس» حملة ضد ممارسات «الهيئة الشرعية» في حلب

أثار قتل الطفل محمد قطاع الملقب ب"سلمو» من قبل عناصر ينتمون لكتائب متشددة في حلب ردود فعل على مستوى محلي ودولي، وكان سلمو قد قتل يوم ٩ من الشهر الجاري بعد أن رفض طلب مسلحين أن يبيعهم قهوة بالدين، و قال لهم "لو نزل محمد ما رح بيع بالدين"، فأخذوه وجلدوه وأعادوه إلى أمام بيته، وطلبوا منه ألا يكرر العبارة التي قالها، لكنه كررها، ما اعتبروه كفراً، فما كان منهم سوى أن أردوه بعدة رصاصات.

ونظم ناشطون من حلب حملة "لهون وبس"، وهي حملة ضد الهيئة الشرعية في حلب، بعد أن أصبحت الهيئة مصدراً لممارسة الاستبداد، والاعتداء على الناس، وتقوم بتنفيذ اعتداءات جائرة بحق السكان، وممارسة الترهيب ضد الناشطين.

وجاء على صفحة الحملة على موقع الفيسبوك أن «جبهة النصرة اعتقلت الزميل الصحفي مصطفى الأحمدي « أبو جعفر الحلبي « يوم الخميس في جرابلس ، وقامت بتعذيبه في الشارع أمام الناس ، ولا أخبار عنه حتى اللحظة، بعد اخذه إلى فرع الجبهة في جرابلس.

ومصطفى صحفي سوري ، قام بتغطية الأحداث في الشمال السوري ، وعمل منذ بداية الحراك الثوري بجرابلس في البث المباشر بجولات ميدانية في جرابلس و منبج".

وأفاد ناشط في الحملة ل "البديل" بأن استياءً كبيراً يعم المدينة من ممارسات الهيئة الشرعية، وقال:" لقد ثار الناس ضد نظام البعث لأنه نظام مستبد، ونحن لا نريد من أحد أن يعلمنا ما هو الدين الإسلامي، واليوم، تحاول الهيئة الشرعية أن تفرض رؤية متشددة إلى الإسلام على الناس، وهي بذلك تعطي انطباعاً خاطئاً بأن الثورة هي من أجل بناء دولة دينية، وهذا غير صحيح، فنحن كناشطين مدنيين نعرف بأن سورية لا يمكن أن تكون سوى دولة مدنية تعددية".

وقال ناشط آخر: "إن خطف الإعلاميين وتعذيبهم من قبل الهيئة يعيدنا إلى تصرفات البعث التي ثرنا عليها، وليس من المعقول أن نقبل بها بعد كل التضحيات، مهما كانت الجهة التي تريد أن تمارس القمع، ولا يعني أنها جهة دينية، سوف يجعلنا نقبل بممارساتها، فنحن لا نريد استبدال البعث بمحاكم التفتيش".

من جهة أخرى، قالت سلمى، وهي ناشطة من حلب، تعمل في العمل المدني: معركتنا من أجل التغيير ستبقى مستمرة، والمظاهرات التي خرجت ضد ممارسات الهيئة الشرعية مثال واضح عما يريده الناس، ولن تتمكن الهيئة الشرعية أو أية جهة غيرها أن تغير من رؤيتنا للثورة، ونحن سنستمر في عملنا من أجل انتصار الوجه المدني للثورة، ولن ترهبنا قوة السلاح".

الأطفال اللاجئون بين المدرسة والعمل

■ (ا .ف .ب)

تحرك سيدرا أصابعها على صفحة كتاب لتقرأ قصة "الغراب والثعلب" في مدرسة داخل مخيم دوميز للاجئين السوريين، شمال العراق، حيث يبيع عبد الحميد المشروبات ليؤمن ثمن دواء والده .

وتقول سيدرا ابنة التسعة اعوام، "أحب الدراسة والمجيء إلى المدرسة" . وسيدرا واحدة من بين ٤٦ ألف لاجئ سوري في مخيم دوميز في شمال العراق يمثل الأكراد ٩٨ في المئة منهم، وصلت مع عائلتها الكردية في نيسان الماضي من إحدى مناطق شرق سوريا هرباً من القتال. وغالباً ما كانت العلاقات متوترة بين المنظمات الكردية والمسلحين في سوريا، حيث يحاول الأكراد منع كتائب الجيش الحر من اقتحام مناطقها .

ويمتد مخيم دوميز فوق بقعة خضراء على مقربة من الحدود السورية والتركية، ويعد من المناطق الشديدة البرودة شتاء والحارة صيفاً . ولحسن الحظ، تم وضع جهاز للتكييف في غرفة الدراسة حيث تتلقى سيدرا و٢٨ من زملائها الدروس على يدي رمضان كوسا، أحد اللاجئين الأكراد السوريين من أهالي حلب . ويتلقى التلاميذ الدروس باللغة الكردية، لكن الدرس هذه المرة كان باللغة العربية . وأكد كوسا أن الاطفال عانوا كثيراً مما شاهدوه في سوريا، ولكن "هنا، الظروف المناخية قاسية . وقعت فيضانات كبيرة وتعرض الاطفال للكثير من المعاناة" .

وتستقبل المدرسة الابتدائية التي تقع عند أحد اطراف المخيم ١٤٠٠ طالب وطالبة .

ويقول احمد إسلام مدير المدرسة وهي الثالثة في المخيم «لا نستطيع استقبال جميع الاطفال في المخيم» . وأشار إلى أنه للتغلب على النقص في المكان في المدرسة، «نقسم الإطفال الى مجموعتين واحدة تتلقى الدروس صباحاً والثانية بعد الظهر» . وتابع «ولمعالجة التأخير في المناهج الدراسية سيواصل الأطفال الدراسة في فصل الصيف» . ولكن يبدو أن نقص المساحة ليست المشكلة الوحيدة فقط في المخيم .

ويقول محمد حسين مسؤول اللجنة العليا للاجئين في منظمة الامم المتحدة حول الظروف التي يعيشها اللاجئون في دوميز انها «ليست مثالية» . يبدو أنه من الصعب استيعاب التدفق المستمر للاجئين، حتى الخيم اصبحت متلاصقة ومع حلول الصيف، ونبه حسين قائلاً «نحن نشعر بالقلق ونحن نستعد لتفشي وباء الكوليرا في المخيم»، رغم وجود حملة وقائية . وأكد أنه «لا يمكننا تغطية احتياجات اللاجئين ١٠٠ في المئة، ونحاول توفير الحد الأدنى، مثل الغذاء والتعليم والصحة، ولكن الاحتياجات تختلف من عائلة إلى أخرى» .

وفي هذا السياق، أشار إلى قيام بعض العائلات بتشغيل أطفالها . وبدا الأمر واضحاً، عند مدخل المخيم المزدحم بالباعة الذين يتسابقون من أجل لفت انتباه الزبائن بعبارات مثل «مستر . . مستر»، لبيع مواد كالسجائر أو الماء . وبينهم عبد الحميد الذي يدفع عربة حافظة للمواد المبردة جلبها من بلدته القامشلي في شمال شرق سوريا . ويقول «عمري ١٤ عاما»، ثم يفكر قليلا ويضيف «أو ١٢ عاما». ويتنقل عبد الحميد الكردي صاحب الشعر الاشقر لبيع المشروبات الغازية التي تقدر أسعار كل قنينة منها ب٢٥٠ ديناراً ، وشدد الفتى قائلاً «يجب أن أعمل لأعيش»

من القصير إلى عرسال اللبنانية: سوريون يروون حكاية خوف وموت

■ عرسال- أ.ف.ب:

منذ أربعة أيام، تفترش جميلة (٤٥ عاما) الأرض في باحة مقر رسمي في بلدة عرسال في شرق لبنان، تنتظر أن يؤمن لها أولادها الثلاثة وزوجها المريض سقف أو خيمة... أما قلبها، فبقي في سوريا، على طريق القصير حيث «العشرات ماتوا عطشاً أو قصفاً، أو ببساطة عجزوا عن متابعة السير».

تجلس جميلة على بساط قرب مقر بلدية عرسال، إلى قربها يتمدد زوجها على فراش إسفنجي. وتقول لوكالة فرانس برس «في الليل نموت برداً. لا نملك مالاً، ولا طعاماً، ولا نعرف أحداً هنا».

لكن حزنها الاكبر يبقى على الذين «تركناهم هناك».

وتروي بغصة «خرجنا قبل ساعات من سقوط المدينة مجموعات مجموعات... كنا نجري وكل منا يسعى لإنقاذ نفسه».

وتتابع وهي تزيح قليلا الشال الأسود الذي يغطي رأسها عن وجهها ثم تخفض صوتها وكأنها تخجل مما ستقوله «بعض الذين كانوا معنا ماتوا عطشاً أو متأثرين بجروحهم. فكان الرجال يحفرون حفرة ويدفنونهم. كان الأمر فظيعاً. التاريخ لم يشهد مثل هذا».

في الطريق، كسر الهاربون أغصان الأشجار الخضراء الطرية وعصروها في أفواههم للترطيب، أو قساطل الري ونفخوا فيها للحصول على بعض قطرات المياه. وأكلوا الفاكهة من الأشجار والبطاطا النيئة من الحقول. وكان عناصر من الجيش السوري الحر يرشدونهم على الطريق.

ويوضح عضو المجلس البلدي في عرسال وفيق خلف الذي يهتم باستقبال اللاجئين وتسجيلهم، ان ثلاثة آلاف سوري وصلوا من القصير الى عرسال خلال أسبوع، ليرتفع عدد اللاجئين السوريين في البلدة إلى ٣٢ الفاً منذ بدء النزاع قبل أكثر من سنتين، فيما عدد سكان عرسال أكثر من أربعين ألفاً.

كما دخل أكثر من ٣٠٠ جريح من القصير نقلوا الى مستشفيات في الشمال خصوصا.

في زوايا الباحة الصغيرة، توزعت العائلات. بعضها علّق أغطية وبطانيات على أغصان الشجر للحصول على بعض الخصوصية... أو على قليل من الظل.

بين الجمع شاب في الثامنة عشرة ذراعه اليسرى وظهره ملفوفان بضمادات، يقول من دون ذكر اسمه إنه أصيب في المعركة.

ويضيف «سرت خمسة أيام مع آخرين... في لحظة معينة، تعبت وتركوني مرمياً في أحد البساتين، إلى أن أشفق علي أحدهم وحملني وساعدني على الوصول».

لكن الشاب الاشقر صاحب الوجه الطفولي يؤكد أنه سيعود الى سوريا فور شفائه «أريد أن أساهم في إسقاط النظام».

في وسط الباحة، جلست ريما مع طفلها البالغ عشرة أشهر. وتقول وهي تشير إلى ملابسه المتسخة التي لم يعد في الامكان تبين لونها الاصلي، والى عباءتها الزهرية المطرزة بالأبيض، وقد اتسخت أيضاً. «نريد مكاناً نغتسل فيه. نحن هنا منذ سبعة أيام، لم يجدوا لنا مأوى بعد».

هربت ريما مع أربعة اطفال وزوجها بالسيارة من القصير. «كان القصف مخيفاً. ذهبنا إلى درعا (جنوب)، وصلنا الى آخر حاجز قبل الحدود الأردنية. لم يسمحوا لنا بالعبور إلى مخيم الزعتري. فعدنا إلى ريف دمشق ومنه عبر طريق تهريب إلى هنا».

وتبلغ مساحة المنطقة السكنية في عرسال حوالى ١٥ كلم مربع، وعرسال ذات غالبية سنية متعاطفة إجمالا مع المعارضة السورية، ومحاطة بقرى شيعية موالية لحزب الله الذي يشارك في المعارك في سوريا إلى جانب قوات النظام.

في شارع البلدية، صف طويل من مئات النساء والرجال ينتظرون دورهم للحصول على مساعدة غذائية.

في غرفة من مترين مربعين من دون باب، يعيش حوالى عشرين شخصا يرفضون التصوير ويسألون إن كنا من «هيئة اغاثة»، فالحاجات كثيرة.

لماذا غيّر أوباما نهجه تجاه سوريا بعد نقاش استمر شهوراً؟

■ وارن ستروبل، ومات سبيتالنيك- واشنطن- رويترز:

قال مسؤولون حاليون وسابقون إن قرار الرئيس الأمريكي باراك أوباما تسليح مقاتلي المعارضة السورية للمرة الأولى جاء بعد نقاش مكثف استمر قرابة العامين داخل البيت الأبيض لم يتوقف فيه الرئيس ومستشاروه المقربون عن التشكك في جدوى التدخل الأمريكي في حرب دائرة بمنطقة الشرق الأوسط.

وأضافوا أن العاملين الحاسمين في قرار تغيير النهج الأمريكي يتمثلان في تزايد المكاسب العسكرية التي تحققها قوات الرئيس السوري بشار الأسد الذي يحظى بمساعدة حزب الله اللبناني المدعوم من إيران، ومعلومات المخابرات التي تؤكد استخدام الجيش السوري أسلحة كيماوية وتحديداً غاز الاعصاب السارين.

ولم يتضح أي هذين العاملين لعب دوراً أكبر في قلب الموازين. فما أعلنته إدارة أوباما هو وجود أدلة على استخدام أسلحة كيماوية قال أحد كبار المسؤولين في الإدارة إنها "تبلورت" في الأسبوعين الماضيين.

غير أن بعض المسؤولين الأمريكيين قالوا يوم الجمعة الماضي إن العامل الحقيقي وراء تغيير حسابات أوباما بخصوص سوريا لا يتمثل في استخدام الأسلحة الكيماوية المعروف منذ أشهر، بل في الدور المتنامي الذي يضطلع به حزب الله.

فذلك التقدم الذي أحرزه حزب الله في الميدان زاد من احتمال بقاء الأسد في السلطة لبعض الوقت. كما أن قرار الجماعة الشيعية بالتدخل المباشر في الصراع لمساندة الأسد في مواجهة مقاتلي المعارضة الذين يغلب عليهم السنة ساهم أيضا في تعزيز المنحى الطائفي الذي اتخذته الحرب وأذكى التوتر بين السنة والشيعة في لبنان.

وأشار مسؤولون أمريكيون ودبلوماسيون أوروبيون أيضا إلى أن اجتماع واشنطن هذا الأسبوع مع حلفائها في مجموعة الثماني خاصة فرنسا وبريطانيا كان عاملاً أسهم في قرار أوباما. ومن المقرر أن تتصدر القضية السورية جدول أعمال قمة الثماني.

وقال دبلوماسي أوروبي طلب عدم ذكر اسمه "إن لم يبدأوا في اتخاذ إجراء حيال هذه القضية لوجه اجتماع مجموعة الثماني انتقادا حادا للرئيس (أوباما)."

ولاقى أوباما انتقادات لاذعة من الصقور في الكونجرس الأمريكي وغيره، عندما لمح لأول مرة في نيسان الماضي إلى احتمال استخدام أسلحة كيماوية في الحرب الأهلية السورية، مما يمثل تجاوزاً "لخط أحمر" وضعه العام الماضي، ولكن دون أن يستتبع ذلك باتخاذ أي إجراءات ضد حكومة دمشق.

ولكن في مقابلة أجريت قبل عشرة أيام – أي قبل إعلان البيت الأبيض قرار أوباما يوم الخميس الماضي – شدد أحد كبار المساعدين على أن مسألة الأسلحة الكيماوية لم تستبعد قط.

وقال المسؤول الكبير بالإدارة الأمريكية آنذاك إن هناك "تعليمات واضحة من الرئيس بألا نتراجع عن الخط الأحمر."

وأعلن البيت الأبيض يوم الخميس الماضي أنه خلص إلى أن القوات السورية استخدمت أسلحة كيماوية، وقال إن أوباما قرر إمداد المعارضة بالمساعدات العسكرية المباشرة.

ورغم أن أوباما غيّر نهجه باتخاذ هذه الخطوة بعد أن ظل البيت الأبيض يعارض الدعوات المنادية بتسليح المعارضة لأكثر من عام إلا أنه يبدو عازماً على عدم السماح بانجرار الولايات المتحدة بشكل كبير في الحرب الأهلية الطائفية السورية.

وذكر مسؤولون أنه رغم أهمية هذه الأسلحة إلا أنها لن تشمل الصواريخ الأرض جو التي تعرف باسم مانباد المحمولة على الكتف، والتي يمكنها إسقاط المقاتلات وطائرات الهليكوبتر الحربية السورية.

وأضاف المسؤولون أن واشنطن لا تؤيد حاليا فرض "منطقة حظر طيران" في اجواء سوريا – والذي سيتضمن التزاما قويا من سلاح الجو الأمريكي والأوروبي بمواجهة الدفاعات الجوية السورية الكثيفة – وذلك لأسباب منها غياب الإجماع الدولي على هذه الخطوة.

(إعداد عبد المنعم درار للنشرة العربية – تحرير محمد هميمي)

رفع جاهزية عناصره وحفر الخنادق والأنفاق

الحر يستعد لمواجهة كبيرة مع قوات النظام وحزب اللّه في حلب

■ حلب – محمد إقبال بلو:

منذ مطلع الشهر الحالي والنظام يقوم بحشد قواته في حلب، وبالتحديد على جبهات ريف حلب الشمالي ، حيث وصل آلاف المقاتلين من حزب الله، بالإضافة إلى آخرين من جيش النظام، يعتبرون قلة بالمقارنة مع العناصر غير السوريين. تتجمع هذه الحشود على جبهتي جبل شويحنة، قريباً من منطقة الليرمون ومعارة الأرتيق وكفرحمرة، وجبهة نبل والزهراء البلدتين المؤيدتين للنظام، حيث حشد فيهما النظام أعداداً كبيرة من مقاتليه بواسطة الحوامات التي لا تتوقف عن الذهاب والإياب حتى أُطلق عليها اسم (سرفيس نبل)، هذا السرفيس الخاص بنقل الشبيحة والمؤن والعتاد، مما جعل هاتين البلدتين معسكراً ضخماً.

يواجه الثوار هذه الحملة على ريف حلب الشمالي بكل قوة وبسالة ، تلك الحملة التي تستهدف إعادة السيطرة على جزء كبير من ريف حلب الشمالي، والذي يقع بين دوار الليرمون ومطار منغ، وذلك بهدف فك الحصار عن المطار المحاصر، وفك الحصار الذي تتعرض له بلدتي نبل والزهراء، ويرى الثوار أن فك الحصار سيعني مذابحاً لأهالي بلدات الريف، فلو أتيح المجال للمقاتلين الموالين للنظام من بلدتي نبل والزهراء الخروج فإن حال الريف الحلبي سيكون أسوأ من حال القصير، بل أسوأ من حال البيضا ورأس النبع في بانياس.

ويواصل الحر معاركه على جبهة جبل شويحنة مكبداً النظام خسائر كبيرة يومياً تقدر بعشرات القتلى والمدرعات، فكما جهز النظام لهذه المعركة فإن الجيش الحر لديه أيضاً تجهيزاته واستعداداته، فظرف حرج كهذا سيكون مدمراً إذا لم يكن التخطيط جيداً، ولم تكن الكتائب المقاتلة على رأي واحد، وفي صف واحد، لأجل هذه المواجهة المصيرية بالنسبة لحلب وريفها، فهنا إما أن ينجح النظام ويستعيد حلب، أو يفشل ويعود ما يتبقى من مقاتليه خائبين مهزومين.

محمد العنداني الإعلامي الميداني الذي ينقل الأحداث لوسائل الإعلام بشكل يومي عبر كاميرته التي ترافق المقاتلين أينما ذهبوا ، قال لـ «البديل» : إن استعدادات الجيش الحر استعدادات جيدة لهذه المواجهة الكبيرة، فقد وصلت إلى حلب الكثير من الكتائب من مناطق مختلفة، وأهمها ريف إدلب، بينما احتشدت الكتائب الموجودة بحلب وريفها لأجل المواجهة، ومن أهم الكتائب التي وصلت لمساندتنا هنا اللواء أول مدرعات، وألوية أحفاد الرسول، وكتائب مدينة الباب، وغيرها من الكتائب المنتشرة في المنطقة الشمالية، وهناك استعدادات مهمة على الأرض، مثل حفر الخنادق، وحفر الأنفاق في أماكن حساسة بهدف الالتفاف والانقضاض، وأعتقد أن جنود حزب الله سيرون منا هنا ما لم يشهدوه من قبل . لقد قامت الكتائب بحشد عدد كبير من المدرعات والرشاشات الثقيلة لخلق حالة ثقة كبيرة لدى المقاتلين، ولتكون المواجهة بالمستوى نفسه الذي يحاربنا به النظام، كما تمّ تجهيز الكثير من الأسلحة الثقيلة، مثل المدفعية ١٢٢ والمدفعية ١٣٠ ، بالإضافة إلى العديد من راجمات الصواريخ.

ويضيف محمد : عناصر حزب الله وعصابات الأسد يعتقدون أن الموضوع هنا سيكون سهلاً، لكنهم صدموا بما رأوا ، منذ أيام اخترقنا اتصالاتهم، ووجدنا أنهم بمعنويات محطمة جداً، ففي أحد تلك الاتصالات كان قائد عربة الـ ب م ب يتلقى أمراً بالتقدم ويرفضه، وبعد إلحاح قائدة تقدم وهو يخبره أنه يخشى أن يحدث معه مثل العربة السابقة، وبالفعل كان صيداً سهلاً على مقاتلينا، أعتقد أن النظام لن يطأ الريف الشمالي لحلب إطلاقاً، ولن يحقق أي هدف من أهداف حملته هذه، ولن يحصد منها سوى الخيبة والكثير من الجثث.

إن استعدادات الجيش الحر استعدادات جيدة لهذه المواجهة الكبيرة

علي أحد قادة المعارك في الجبة الشمالية قال لـ «البديل» : نحن على استعداد تام لمواجهة هذه الحشود، ونحن على كل حال نقوم بالمواجهة يومياً، ونكبدهم الكثير من الخسائر ، تكمن خطورة هذه المعركة في وقوعنا بين قوات عسكرية تابعة للنظام من طرف جبل شويحنة وقوات أخرى محتشدة في نبل والزهراء، صحيح أنها قوات يصعب عليها التحرك بسبب الحصار الخانق، لكنها تشكل خطراً، وتأخذ منا جهوداً وقوة كبيرة، هذا الحصار هو من أهم الاستعدادات لهذه المعركة، فلو قلّ الضغط ولو نسبياً على البلدتين فإن الأرتال العسكرية ستبدأ بالخروج منهما، وسنصبح محاصرين بقوات عسكرية من جهتين متعاكستين شمالاً وجنوباً بمسافة فصل بين القوتين تقل عن عشرة كيلومترات، وبالتالي سنكون نحن المحاصرون حينها ، لذا فقد فرّغنا جزءاً كبيراً من قواتنا لمنع أي تحرك من نبل أو من الزهراء، حيث نقوم بقصف أي تحرك عسكري داخل البلدتين.

ما أخبرنا به أحد المقاتلين الفتية ويدعى حسن أن الريف كله بمقاتليه ومواطنيه في حالة جهوزية كاملة للمواجهة المقبلة، وهناك استعدادات جيدة على المستويات كافة، يقول حسن : لقد أعلن النفير العام، وفتح باب التطوع بغض النظر عن السن، فكل من يرغب بالدفاع عن أرضه ضد قوى الاحتلال الإيراني يتم تسليحه وتدريبه بشكل سريع على استخدام السلاح، فهناك أعداد كبيرة من المتطوعين تشكل لوحدها جيشاً مستقلاً، ووقوف المواطنين مع الجيش الحر في هذه اللحظات هو من أهم الاستعدادات، فالحواجز المنتشرة في المنطقة غادرها معظم مقاتلو الجيش الحر، واستلمها منهم مدنيون رغبوا بمساندة أبطال الشمال، حتى النساء تفرغن للطبخ وتجهيز طعام المقاتلين بعد أن أصبح عددهم كبيرا جداً في المنطقة، ويحتاجون إلى الكثير من الخدمات التي لا وقت للرجال لتقديمها.

يؤكد حسن أن «ريف حلب الشمالي بالكامل قد انتفض للدفاع عن الأرض والعرض والحق"، وأن الكل يعمل لأجل هذه المعركة، ويقول: «لا نتوقع من الله إلا نصراً مبيناً وهزيمة لجنود حزب الله الذين ظنوا أننا لقمة سائغة، وهذه الجثث التي يتم نقلها كل يوم من جبل شويحنة إلى مشفى حلب الجامعي ما هي إلا دليل عن استعدادات لم يتوقع النظام أن يراها هنا».

حرب الشرق وزلزال الهويات

غازي دحمان

في ظل انشغال المنطقة بالحدث الأكبر، مذبحة السوريين، ثمة تفاصيل كثيرة تجمعت على حواف الحدث السوري وغطت معظم مساحة الإقليم، تفاصيل كانت من قبل سهلة الاكتشاف وتحت مرصد الجهات المختصة، لكنها اليوم لم تعد مرئية، أو ربما فقدت الاهتمام بها ما لم تتفجر أو تصبح قيد التفجر، فسخونة الحدث السوري وسوية تفجره رفعت كثيراً سقف الإنذار.

كل الشرق منفجر، أو هو على عتبة الانفجار، الفرق فقط يقع على خط قياس مستوى التفجر ومداه وحجم ضراوته، وضمن هذا السياق تقع اضطرابات تركيا، الأخيرة، واللافت أن صيرورة تجميع خيوطها كانت قد بدأت قبل ذلك بوقت، واللافت أيضا أن حكومة أردوغان لم تقم بإجراءات مهمة لوقف هذه الصيرورة وتعطيل ديناميكيتها، بل ربما كانت تنتظر معرفة شكل الانفجار الذي ستولده لتبني على الشيء مقتضاه، فالإنذارات كانت كثيرة وكافية لترسم حكومة عتيدة مثل حكومة العدالة والتنمية إستراتيجية سياسية وإعلامية تحتوي فيها هذا التوتر، لم يشهد أحد ملامح مثل هذه الإستراتيجية!، هل لأن الأمر خارج عن السياسة وقدراتها؟.

في أطراف أخرى، لبنان، يجري الابتعاد عن المؤشرات والنذر، تجاهلها هو الشيء المتاح والممكن، المهم عد م الاصطدام بها، وتركها تتفاعل بالاتجاه الذي تريد وترغب، وتتشكل كيفما تشتهي، وما دعوة أمين عام «حزب الله» حسن نصر الله إلى التقاتل في سورية إلا دلالة على نضوج هذه السياقات واختمارها في الداخل اللبناني، وتحولها إلى معطى راسخ. وفي العراق يخرج الأمر إلى العناوين العلنية بوضوح وشفافية، ربما لان تجربة البلد لا تزال طرية في الذاكرة ولم يمضي وقت عليها بعد.

حتى إيران، البلاد التي بدت متماسكة حتى اللحظة أكثر من غيرها، ولو في الشكل، لا يمكنها أن تبقى طويلاً منخرطة برانياً بالحدث وتنأى بنفسها عنه داخلياً، وكانت البلاد قد شهدت أحداثاً سياسية في ٢٠٠٩تجاوزتها بصعوبة، وبندوب كثيرة في نسيجها الاجتماعي وتماسكها القومي. لكن الكثير من المؤشرات بدأت تتجمع على نية البلاد الانخراط في سياق الحدث الشرقي أكثر وأكثر، الفرق بين إيران وبين مثيلاتها الشرقيات، حالة التعتيم الإعلامي، وطبيعة النظام القمعي فيها، حيث الأحداث لا تنفجر إلا دفعة واحدة، لا يسبقها نذر كثيرة، وتكون مفاجئة ومدمرة.

والحال، فإن المنطقة كلها تقع على صدع زلزال الهويات ، الذي يتمظهر في صراع المكونات الصغرى» العرق والطائفة»، على رقعة فسيفسائية زاخرة بالمكونات وفروعها اللانهائية، ثمة تقارير أمريكية» يتداولها صناع القرار في واشنطن» تنحو باتجاه هذا التصور وتوصي بعدم الانخراط والتورط في هذا الحدث والاكتفاء بمراقبته وحتى بتركه يتفاعل إلى أقصاه. ربما لأن أميركا تمر الآن بمرحلة إعادة صياغة لاستراتيجيتها، وترى أن أفضل بيئة ومناخ لهذه الصياغة وضعية انشغال أغلب القوى بالحدث الشرقي.

في ظل ذلك، وفي ظل حالة العناد الما قبل سياسي لدى النخب، تسيطر سريعاً ثقافة القاع والهوامش، وتسود تصوراتهم للصراع ومآلاته، وطبعاً كيفية إدارته، وهذه العدة الثقافية غالباً ما تكون نتاج تجميع جملة من الأساطير والحكاوي والتوليفات، حول الأخر، وعن الخلاص، والارتقاء إلى العالم الأخر. وتصبح كل هذه العدة المتنافرة هي أدواة وآليات صنع المرحلة، دور السياسة هنا يختصر في توظيف كامل طقم هذه العدة في خدمة سلوكه وشرعنته، لضمان الالتصاق التام بهموم وتطلعات بيئته، فيما يغيب عن المشهد كل من يشك بولائه التام لقيم الهوية وتحضيرات ميدان انتصارها.

وفي صراع الهويات والمكونات، مثلما تغيب السياسة بمعناها الحداثي، كذلك تغيب الاستراتيجيات، فلا حاجة بها في حروب تحركها الغريزة والانفعالات والحماس، كما لا تملك أطرافها ترف صناعة استراتيجيات، ولا ينم التوغل المفرط في الأزمة والانخراط العميق فيها عن وجود استراتيجية، بقدر ما هي سياسات حماسية، ففي ظل الإحساس بالخطر الكل يعمل تحت ضغط الوقت والضرورة، لا أحد يحلم بالنصر الناجز، الكل يحلم بالخلاص، تلك هي الأزمة الحقيقية التي تقع فيها مجمل الأطراف المنخرطة باللعبة.

ولعل الإشكالية الكبرى في هذا السياق تكمن في فقدان الثقة وقنوات التواصل وضعف القيادات السياسية عن اتخاذ المبادرة والجرأة في الطرح السياسي، وهو ما يزيد في إدامة الأزمة واستفحالها، بحيث تصبح مع كل يوم يمر أعقد بكثير من الذي سبقها، ولطالما ابتلعت هذه الأنماط من الأزمات أجيال من القائمين عليها، لدرجة تصل فيها إلى مرحلة لا يعود هناك نقاط للتلاقي والاشتراك بين أطرافها المتخاصمين.

الأزمة مقدر لها أن تواصل سيرها الحثيث باتجاه الخراب إلى حين الوصول إلى بيئة مواتية تساعد على إنجاح الحلول

هل يعني ذلك أن الأزمة ستستمر وتتفاعل أكثر ولا أمل في حل قريب لها رغم التحضيرات الجارية للحل في جينيف؟. واقع الخبرة يقول أن الأزمات تستهلك طروحات حلول كثيرة، المؤشر السلبي في الأزمة السورية» أزمة الشرق» أن البيئة الحاضنة لها رضيت أن تتشكل علاقاتها على وقع الأزمة، لم نرى إطاراً تنظيمياً مشتركاً للدول الإقليمية يهدف إلى التلاقي حول حصر تداعيات الأزمة أو التخفيف منها، وبالتالي فإن الأزمة مقدر لها أن تواصل سيرها الحثيث باتجاه الخراب إلى حين الوصول إلى بيئة مواتية تساعد على إنجاح الحلول.

قبل أن ينفجر العنف عارياً ومرعياً كان مقدر لدورته أن تختتم في سورية، وكان من الممكن اختصار دائرة دورانها، أو تسريعها إن أمكن، الآن صارت دائرتها أكبر تضلل كل مساحة الإقليم، وصرنا أمام شرق يتغير ويتحضر لسنوات طويلة من العبث، كل شي يسير بهذا الاتجاه، الحقيقة الوحيدة هي عدم وجود ما يمنع هذا السياق.

سوريا... هيمنة القومي وتقنين الوطني (٢ من ٢)

حسام الميلاد*

لقيت السياسة السورية «القومية» معارضة إقليمية و دولية، الأمر الذي أدخل سوريا في عزلة دولية وحصار اقتصادي خانق في حقبة الثمانينات، مما زاد الأوضاع الداخلية تعقيدا. ولم يعد بالإمكان إلهاء المواطن السوري عن الشأن الداخلي بأي ملهاة أخرى. لكن القبضة الامنية المحكمة إبقاء الوضع الداخلي تحت السيطرة، رغم عديد من الاضطرابات في مناطق مختلفة. ولم تستطع سوريا خرق هذه العزلة الدولية إلا حين دعت الحاجة إلى ضم سوريا الى الحلف الدولي في الحرب على العراق، إذ قبلت سوريا المشاركة في هذا الحلف مقابل وعد أمريكي بعقد مؤتمر دولي للسلام، كان حافظ الأسد قد سعى إليه طيلة فترة الثمانينات.

مع انتهاء حرب الخليج الثانية مطلع التسعينيات، بدأت سوريا تشهد انفراجا اقتصادياً، لاسيما بعد تدفق أموال الخليج والاستثمارات في القطاعات الاقتصادية المختلفة. ترافق ذلك مع تغيّر في الشعارات المطروحة لتتناسب مع مرحلة السلام المفترض. فأبطال الحرب هم اليوم أبطال السلام. والواقع أن الشعب السوري وبالرغم من عروبته المعهودة وبالرغم من أن قضية فلسطين تشكل بالنسبة لديه قضية أساسية وكرهه الشديد للكيان الصهيوني، إلا أن قطاعات واسعة من الشعب رغبت في السلام وأملت بتحقيقه، علّ الشأن الداخلي يلقى لدى المسؤولين السوريين حقه من الاهتمام بعدما شغلوا أو انشغلوا بالشأن الخارجي و«الهموم القومية». وليس غريبا أن ترتفع أسعار الأراضي وتنخفض بناء على المعطيات السياسية في شأن المفاوضات السورية الإسرائيلية في المناطق القريبة من الجولان وجبل الشيخ. أما قضية الجولان التي كانت مغيبة لفترة طويلة لتصبح قضية للنازحين من أبناء المنطقة أكثر من كونها هما عاما، فبدأت تعود إلى الواجهة مجددا كونها الهدف من هذه المفاوضات.

هُمش النازحون السوريون من أبناء الجولان طويلاً، ولم يشعر أي منهم باهتمام حقيقي بمشاكله كما قد يلقاه أي لاجئ إلى خارج وطنه، هم في وطنهم لكنهم مهمشون، يعاملون بفوقية ويقطنون التجمعات الأكثر فقراً دون أي تعويضات، ويعانون مشكلات الشعب السوري، بالإضافة إلى مشكلاتهم الخاصة بنزوحهم. (هو في ريس بموت يا باشا) عبارة أطلقها عادل إمام في أحد أعماله الكوميدية، وهي تعبر بشكل دقيق عن حال الصدمة التي تلقى بها السوريون خبر وفاة الرئيس حافظ الاسد. حالة الصدمة والخوف من مجهول بعد رحيل الرجل الذي اعتقد السوريون أن بيده كل شيء، هو ما جعل السوريون يتنفسون الصعداء لتسلم الأسد الابن زمام السلطة في سوريا دون إراقة دماء، ويغضون الطرف عن الطريقة التي تم من خلالها توريث السلطة. وقد استطاع بشار الأسد أن يلقى في البداية تعاطفا شعبياً واسعاً، لاسيما بين فئات الشباب، ربما لصغر سنه نسبياً، ولكونه طبيب يحمل ثقافة غربية، ويتحدث الإنجليزية والفرنسية، إذ بدا كرئيس عصري. وهو فعليا رجل مدني حتى لو ارتدى فيما بعد بذته العسكرية. ومع الوعود الإصلاحية ساد التفاؤل الشارع السوري، ولكن كثافة المراسيم والتعديلات على المراسيم لم تكن تتناسب وحجم الإصلاحات الفعلية على الأرض. ومع بعض التراخي الأمني الشكلي وبعض التساهل حيال الآراء المنطلقة هنا وهناك، لم ترَ القيادتان السياسية والأمنية وجود أي داع لتقديم تنازلات أكثر طالما لا يوجد هناك ضغط كافٍ وراءها. الأمر الذي أدى إلى تضاؤل حالة التفاؤل لاسيما بعد موقف السلطات مما عرف بربيع دمشق.

خارجيا كان على بشار الأسد مواجهة ملفات حساسة وتغيرات متسارعة في المنطقة، وقد بدأت فعليا في عهد الراحل حافظ الأسد. فقد استطاع الموساد الإسرائيلي بالتنسيق مع اجهزة المخابرات الأردنية الحصول على عينة من «بول» حافظ الاسد حين كان في عمان لحضور مراسم جنازة الملك حسين بن طلال. وقد نقلت هذه العينة بالسرعة الممكنة إلى اسرائيل واستطاعت القيادة الاسرائيلية الاطلاع على السجل الطبي لحافظ الاسد، وتنبأت بقرب وفاته، مما دفع إيهود باراك لتفعيل وتسريع خطة الانسحاب من جنوب لبنان. بعد الانسحاب الإسرائيلي، وجدت العديد من القوى السياسية اللبنانية المناخ مواتياً للضغط باتجاه الانسحاب السوري من لبنان، وقد تم ذلك بأسرع مما توقعت تلك القوى نفسها. وقد أعطت هذه السياسة السورية فرصة لتحسين العلاقات مع الدول الغربية، لكن الغزو الامريكي للعراق وموقف سوريا الداعم للمسلحين المناهضين لهذا الاحتلال، ومقتل الرئيس الحريري واتهامات بعض الأطراف لكل من سوريا وحزب الله بالضلوع في مقتله وغيرها، كانت عوامل أعادت سوريا إلى العزلة الدولية والإقليمية. وكان على بشار الأسد الالتفات إلى الداخل السوري مجددا.

بدأت القيادة السورية تدرك أن الحس القومي في سوريا كان طيلة سنوات على حساب الحس الوطني، وأنه لابد من التعامل مع هذا الوضع بما يكفل استمرار الولاء لنهج القيادة السورية والحفاظ على نوع من الالتفاف الجماهيري حولها في مواجهة التحديات الخارجية. وهو ما يفسر مؤخرا إلغاء مادة التربية القومية وتضمين المناهج الجديدة، كبديل عنها، مادة التربية الوطنية. أضف إلى العديد من الحملات التي رفعت شعارات وطنية تؤكد على «سورية السوريين» إن جاز التعبير. بل إن الدراما أصبحت وسيلة مهمة لتعزيز النزعة الوطنية السورية وكسر العزلة الإقليمية، ولم يكن للدراما السورية أن تنافس بجدارة الدراما العربية، لاسيما المصرية، لولا ما توفر لها من دعم السياسي.

إن الاحداث الاخيرة في سوريا وحالة التحزب المستشرية التي تمترس خلفها السوريين، ربما ترجح أن الوطنية في سوريا، و في أبسط توصيف لها وهو الانتماء للوطن أولا على حساب الانتماءات العشائرية والمذهبية والطائفية، لم تكن يوما معافاة. فمثلا لم يهتم السوريون سابقاً بخريطة سوريا، ليعلقوها في رقابهم أو في حمالة مفاتيحهم أو على مرايا سياراتهم مادام الوطن قد اختزل في شخص القائد، لذلك تركت خارطة سوريا مكانها غالباً لرموز دينية وطائفية. وحين بدأ السوريون منذ بداية الثورة بحمل خارطة الوطن، كان هناك خارطتان واحدة حمراء، وأخرى خضراء.

الوطنية ليست بقرار سياسي مفروض من الأعلى مفاده: كنا عربا أكثر من اللازم وعلينا الآن أن نكون سوريين. ففي لغة التاريخ، الوطنية صيرورة وتحول اجتماعي تاريخي يمس أسس المجتمع ذاته باتجاه تخطي الحدود الضيقة الإقليمية والعشائرية والطائفية والعرقية نحو الاندماج والعيش المشترك. وبلغة الحقوق، تقوم المواطنة على منظومة من الحقوق والواجبات تكرس مبدأ سيادة الشعب عن طريق الخضوع لقوانين مستمدة من الشعب نفسه عبر المشاركة السياسية الحقيقية. أما ما كان في سوريا، ففساد وإفساد أدى إلى ظاهرة تبادل في القيم، فأصبحت الغاية وسيلة والوسيلة غاية، تفاوت طبقي حاد مع تفتت الطبقة الوسطى، تنمية غير متوازنة بين المدينة والريف، ترييف للمدن، اقتصاد هجين يقوم على الربح السريع. غياب العدالة الاجتماعية والتوزيع العادل للثروة وغيرها من غياب الحريات والمشاركة السياسية والشراكة الحقيقية في الوطن. كل هذا وأكثر كاف ليعيق نمو الحس الوطني في أي مجتمع. إن الوطنيةّ المفروضة بقرار سياسي لن تعدو أن تكون وطنية مقننة، يدفع اليوم الوطن السوري ثمناً باهظاً لها. وعلى السوريين النضال اليوم وغداً من أجل مواطنة حقيقية تحت شعار سوريا حق للجميع.

*كاتب فلسطيني

مؤتمر لمنظمات مجتمع مدني يناقش الحلول الاستراتيجية للأزمة السورية

بيروت- البديل:

عقد المركز السوري لدراسة السياسات بالتعاون مع منظمات مجتمع مدني وناشطين مدنيين مؤتمراً في العاصمة اللبنانية بيروت في الفترة الواقعة بين ٧ و١٠ من الشهر الجاري، من أجل مناقشة السيناريوهات المحتملة لحل الأزمة السورية، ودور المجتمع المدني فيها، وجاء المؤتمر تحت عنوان « نحو حل استراتيجي للأزمة السورية: دور المجتمع المدني"، وقد شارك في المؤتمر ناشطين من المجتمع المدني وخبراء سوريين من أكثر من أربعين منظمة ومؤسسة مدنية وأكاديمية من داخل وخارج سوريا ومن خلفيات سياسية متنوعة، بهدف بحث جذور وآثار الأزمة في سوريا و تطوير سيناريوهات الأزمة واستشراف بدائل الحل، ووضع ملامح استراتيجية للوصول إلى السيناريو الأكثر تفضيلاً، وتشكيل فرق عمل فنية لتطوير السياسات والبرامج الملائمة ما بعد المؤتمر الذي يوجه نتائجه إلى المجتمع السوري بالدرجة الأولى.

وأتى المؤتمر بحسب الجهة المنظمة " في إطار مشروع استشراف بدائل الحل للأزمة السورية، وهو امتداد لبحوث وورشات عمل قام بها "المركز السوري لبحوث السياسات"، بمنهجية علمية تشاركيَّة لتحليل جذور الأزمة من النواحي المؤسساتية والاقتصادية والاجتماعيَّة، ودراسة الآثار الاقتصادية والاجتماعية للأزمة في سوريا".

ناقش المؤتمرون رؤيا مستقبلية لسوريا، بالإضافة إلى تحليل سلبيات وايجابيات السيناريوهات المطروحة، وتم استخلاص السيناريو الأكثر تفضيلاً وبناء ملامح استراتيجية الوصول إليه من وجهة نظر المجتمع المدني السوري، وتحديد فرق عمل لبناء الاستراتيجية بشكل تفصيلي ما بعد المؤتمر.

وقد توصل المشاركون إلى أن السيناريو المفضل لحل الأزمة هو المفاوضات المدفوعة بأولويات المجتمع السوري، وبناء عليه تم تحديد أهداف المفاوضات، ومناقشة آليات تحقيق هذا الخيار في إطار استراتيجية تعزز دور المجتمع المدني ليكون شريكاً أساسياً في الحل السياسي.

تم اختيار هذا السيناريو من بين ثمانية سيناريوهات مطروحة، تضمنت خيارات الحسم العسكري لكل من الطرفين، واستمرار النزاع المسلح والمفاوضات مدفوعة بأولويات المجتمع السوري، أو القوى الخارجية، بالإضافة إلى سيناريوهات التقسيم وانهيار الدولة. وقد تمت المفاضلة بين السيناريوهات على أساس أكثرها تحقيقاً للرؤيا سوريا المستقبلية.

ويذكر بأن ورش العمل قد خلصت إلى إن الاتجاه نحو الحل السياسي المبني على الإرادة الوطنية والضغط

السيناريو المفضل لحل الأزمة هو المفاوضات المدفوعة بأولويات المجتمع السوري

من قبل المجتمع المدني السوري للابتعاد عن النزاع المسلح هو محور استراتيجية الحل المقترح. فقد وضحت دراسة آثار الأزمة الخسائر الكارثية التي لحقت بسوريا، من شهداء وجرحى وعنف مسلح غير مسبوق واستقطاب حاد وتشظي النسيج الاجتماعي وانتشار اقتصاديات العنف، وأظهرت النتائج وجود أكثر من أربعة ملايين نازح داخل البلاد و٢,٦ مليون لاجئ ومهاجر يعيش معظمهم في ظروف إنسانية صعبة، وتراجع مؤشر التنمية البشرية إلى مستوى عام ١٩٧٧ أي بخسارة ٣٥ عاماً من التنمية. كما خسر الاقتصاد الوطني لغاية آذار ٢٠١٣ أكثر من ٨٤ مليار دولار بشكل مباشر وارتفعت معدلات البطالة إلى ٤٨,٨٪ وازداد عدد الفقراء نتيجة الأزمة بـ ٦,٧ مليون مواطن سوري. وذلك نتيجة الدمار الذي لحق بالبنية التحتية والبنية الانتاجية وفقدان القدرة على التصدير وصعوبة النقل والقيام بالتحويلات المالية بالإضافة إلى شح مصادر الطاقة.

وحدد المؤتمرون الأهداف التالية لاستراتيجية حل الأزمة:

- وقف النزيف الناجم عن الأزمة السورية.
- اعتماد أسس لعقد اجتماعي:
- يحترم شخصية الإنسان
- يضمن الحريات العامة والمدنية والفردية
- يقطع مع الاستبداد بكافة أشكاله
- يضمن العدالة في الحقوق والواجبات والفرص
- تطبيق عدالة التصحيح لرأب الصدع الناتج عن الأزمة من خلال:
- بناء خطة وآلية لتعويض المتضررين بشكل يكفل التضامن الوطني
- تطوير إدارة المساعدات الإنسانية بطريقة تضمينية
- التأسيس لمبادئ وقواعد وآليات وشروط بناء مؤسسات فاعلة وتشاركية وعادلة تضمن الحريات العامة وسيادة القانون والفصل بين السلطات
- تطوير بيئة مؤسساتية مساعدة لعمل المجتمع المدني، تضمن مشاركته الفعالة في ضمان الحريات العامة والعملية التنموية وصناعة السياسات العامة والتقييم والرقابة والمساءلة
- التأكيد على الاستقلالية والسيادة الوطنية في كافة النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية
- التأسيس لتنمية محورها الإنسان تضمينية وشاملة وعادلة.

التغيير الذي قامت به الثورة فتح المجال أمام العديد من منظمات المجتمع المدني للعمل ضمن الواقع الجديد

ويشار إلى أن فرق العمل ستقوم بتطوير الآليات والبرامج للتأثير على القوى الفاعلة، وتعزيز دور المجتمع المدني باتجاه الخروج من الأزمة بما يحقق الأهداف الاستراتيجية.

ويذكر بأن المؤتمر قد شهد العديد من المحاضرات التي تطرقت إلى مواضيع ذات صلة بأبعاد الأزمة السورية، في محاولة لتوصيف الواقع الراهن، حيث قدّم المحامي فائق حويجة محاضرة حول المجتمع المدني ودور المال السياسي، وتطرق حويجة إلى ضرورة عدم هيمنة المال السياسي على عمل منظمات المجتمع المدني، لكنه أكد في الوقت ذاته على ضرورة وجود تمويل غير مشروط لهذه المنظمات. كما قدّم حسام ميرو رئيس تحرير البديل محاضرة حول «المجتمع المدني والإعلام خلال الثورة السورية»، وتطرق فيها إلى التغيير الذي قامت به الثورة على مستوى سحب الشرعية من النظام، ما فتح المجال أمام العديد من منظمات المجتمع المدني للعمل ضمن الواقع الجديد الذي نشأ خلال الثورة، كما حاول ميرو أن يوضح الكثير من المشكلات التي يعاني منها إعلام الثورة، وخاصة غياب الاحترافية عن الكثير من المنابر الإعلامية الجديدة، ورأى أن تطور المجتمع المدني والإعلام يحتاجان إلى قدر أكبر من التخصص.

بـــــدنا نتـــــــــــــزوّج!

حسين جمو

عندما كنا نستهل الحديث عن التقاليد القديمة كنا نقول: «في السابق» أو «سابقاً»، وكانت للدلالة على ظاهرة اجتماعية تغيرت أو اختفت، قبل عشرات السنين. اليوم ترتبط كلمة «في السابق» على كثير من المظاهر والتقاليد التي يتم إعادة بنائها اليوم.. بمعنى أن العبارة تشمل نحو سنتين لا أكثر.

التغيرات الاجتماعية واختفاء تقاليد وظهور تقاليد جديدة لم تعد بحاجة إلى وقت طويل. تاريخياً كان من العسير إخضاع حركة المجتمع للملاحظة السريعة، بينما نشهد اليوم سرعة مخيفة في الاستجابة الاجتماعية من حيث سرعة التأقلم مع الأوضاع الجديدة. وإذا كان الجانب العسكري من الثورة قد تعثر في بعض الجبهات، وأصاب شيء من العفن التيارات السياسية المعارضة، فإن المجتمعات المحلية تشهد تغيرات ثورية هائلة في التقاليد والتفاصيل اليومية للحياة، ومنها مثلاً موضوع الخطوبة والزواج. والقراءة أدناه والتي تتناول متغيرات في هذا الموضوع، جزئية، لا يصح تعميمها على كل قطاعات المجتمع.

«في السابق» – أي حتى قبل سنتين– واجه الشباب مشكلات كبيرة في مجاراة التقاليد المتعلقة بترتيبات الزواج، وخاصة الشريحة الريفية التي أقامت في المدينة كأفراد انفصلوا عن مجتمعهم الريفي. بالنسبة لهؤلاء، لم يكن الاندماج حقيقياً بين التقاليد الريفية ومنظومة العلاقات في المدينة، وكان من أبرزها عقدة الدونية لدى الكثير من أبناء الريف المرتبطين بمشاريع علاقات عاطفية مع فتيات من بيئة اجتماعية مختلفة، نصف مدنية، فمن العقد المسكوت عنها مثلاً حتى ضمن النقاشات الصريحة بين الشباب أنفسهم هي الخجل من زي (لباس) الأهل الذين سيأتون لطلب يد الفتاة من أهلها، ومن بساطتهم الفطرية. كما كانت الفتاة أيضا تنفر من فكرة إقامتها في الريف (منزل أهل الزوج أو الخطيب) ولو لفترة محدودة. وحدثت عشرات الحالات التي شهدتها شخصياً بأن كان خضوع الشاب لشروط الفتاة نصف المدنية (ذات جذور ريفية قريبة) ينعكس انهياراً كبيراً على علاقته بعائلته. طبعاً هناك علاقة عكسية أيضاً بين ابن المدينة وابنة الريف، لكنها لم تشكّل حالة صراع مجتمعية، ذلك أن المدينة كانت النموذج الأرقى الذي كان على الريف اللحاق به باعتباره أرقى درجات المجتمع، ولطالما تم~ النظر إلى الفتاة في مجتمعاتنا الريفية كـ"كائن غير أساسي" في هوية العائلة الريفية، فإن التحاقها بالمدينة اعتبر فضيلة، بينما يكون التحاق الشاب الريفي بزوجته –سواء في الريف أو المدينة– رذيلة ومصدر عار اجتماعي.

هذه التصورات تمّ دعمها في السنوات الأخيرة بمجموعة من السياسات الاقتصادية الممنهجة للنظام السابق (البعث) مع توريث الحكم لبشار الأسد، حيث حاول القضاء على الريف بضربات موجعة أدت إلى تدهور علاقة المزارع بالأرض، وانفصال أبناء المزارعين (المنقطعين عن الدراسة الجامعية) عن الريف من خلال العمل عتالين ومياومين في المدن، تاركين خلفهم الأراضي الخصبة، وتحولت معها المدينة إلى "أرقى الأرياف". هذه العوامل زادت من صعوبة نسج علاقة زواج بين ابن الريف –سواء الجامعي أو العامل– الذي يرتدي والده "الكلابية والعقال" وبين فتاة المدينة التي يتفاخر والدها بارتداء زي "الأفندي العثماني" مع بعض التعديلات. طبعاً، استخدام هذه العبارات ذات دلالة رمزية للإشارة إلى التفاوت في مستوى المجتمع، وليست وصفاً مغلقاً قائماً على القياس بحسب شكل اللباس.

هذا العائق ظهر في الريف نفسه، فكان اختلاف نسبة المهور بين منطقة وأخرى على سبيل المثال يشكل عائقاً أمام الاندماج بين التجمعات الريفية، فبين ١٥٠ ألفاً و٥٠٠ ألف أو مليون ليرة (قبل الثورة) فارق كبير، وعندما كان يتم الزواج في حالات قليلة بين شاب وفتاة من قريتين مختلفتين، فإن المثل المهين للكرامة كان يتردد على ألسنة النسوة: "النعجة السمينة لا تغادر المدينة"، أي أن الفتاة المثالية لا تتزوج خارج قريتها.

في الساحة الخلفية للثورة، باتت المعادلات السابقة تنهار مثل برجي التجارة العالمي، فالزواج في الوقت الحالي بات مثالياً، بل إن أكثر علماء الاجتماع تفاؤلاً في تحديث المجتمع لم يتخيلوا حدوث التغيير بهذا الشكل الجارف. شهدت المناطق المحررة خلال العام الأخير على الأقل آلاف الحالات من الزواج، وتصنيفنا لها بأنها مثالية ليست "بروباغندا"، فالمهر لم يعد يلعب دوراً، كما أن الذهب ألغي من العملية بشكل كبير، وشراء الأثاث بات من الأمور غير الضرورية، فغالبية المناطق التي يتم فيها بيع الأثاث المنزلي للأزواج الريفيين تعتبر مناطق قتال. كما أن الوليمة الرئيسية للزفاف والتي كانت تكلف للعائلات وسطياً ٧٠ ألفاً – قبل الثورة– تم الاستغناء عنها، بل ربما يكفي توزيع ربطات خبز على الجيران!. ولم تعد هناك حفلة "طنة ورنة". وألغي موكب الزفاف المخيف الذي ينطلق من قرية العريس إلى قرية العروس، حيث تكون هناك عشرات السيارات وسرافيس النقل العامة التي تمر مثل الإعصار على الطريق، وأكثر هذه المواكب خشونة في الريف الحلبي هي مواكب الأكراد والتركمان.

الحاجز النفسي السيء بين الريف والمدينة انهار هو الآخر بسبب انتقال عشرات الآلاف من سكان المدن إلى الأرياف كنازحين (حلب نموذجاً). أما حالات الزواج بين السوريين في الخارج، فباتت أكثر من مثالية، وخاصة عندما تكون عائلتي الشاب والفتاة مقيمان في الداخل، حيث يطلب الشاب يد الفتاة– حسب حالات نقلاً عن شهود – عبر الهاتف، بينما في السابق كان هذا الزواج يتطلب عودة كل من الشاب والفتاة إلى سوريا لإتمام مراسم الزواج بكامل أركان التقاليد. الآن، الصعوبة الوحيدة التي يواجهانها هو عدم وجود التغطية لشبكة الجوال في سوريا، وربما يتأخر الأمر بضعة أيام لهذا السبب. وتم التخلص من الملاحظات غير اللائقة التي تصدر في الكثير من الأحيان عن أم وأخوات العريس والتي تجرحه شخصياً، مثل قولهم: العروس نحيفة، فمها كبير، عيونها صغيرة، مدعبلة، دمها ثقيل.. إلخ.

في واحدة من الحالات التي حدثت مؤخراً ويمكن من خلالها قياس حجم التغير الاجتماعي الهائل، كان معيل الأسرة الريفي مقيماً في دولة عربية ولا يستطيع العودة في هذه الظروف، فتلقى اتصالا من شاب عرّفه عن نفسه بأنه فلان الفلاني ويطلب يد ابنته فلانة. تلعثم الأب وردّ عليه بكل احترام: "بني.. أعرف عائلتك لكني لا أتذكرك". أجاب الشاب: "عمّو.. عندك سكايب؟".

ها هنا يولد المجتمع من جديد بعلاقات جديدة في أسوأ الظروف التي يمر بها منذ قرن كامل .. هذا المجتمع الحيوي بشبابه وبناته وشيبه يستحق طبقة سياسية أقل سوءاً.